التيار الديني/السياسي التركي والقضية الفلسطينية

"حزب الخلاص الوطني أنموذجا" ١٩٧٠–١٩٩٧

د. عصمت برهان الدين عبد القادر (*)

ظهرت العديد من الدراسات التي تتناول العلاقات العربية/التركية في مختلف الجوانب، وقد ركز البعض منها على الموقف الرسمي التركي من قضية العرب المركزية (فلسطين)، وكذلك من خلال العلاقات التركية / الإسرائيلية وفي هذا البحث سنعمد إلى تناول الموقف الشعبي من خلال أحد أهم تياراته وهو التيار الديني / السياسي متمثلا (بحزب الخلاص الوطني) بمختلف مسمياته وعلى مختلف مراحله بدء من تسميته (حزب النظام الوطني) وانتهاء بتسميته (حزب الرفاه).

ان اغلب الحكومات المتعاقبة والمشكلة بموجب نتائج الانتخابات، كانت ذات توجهات قومية / علمانية، لذا كانت مواقفها منسجمة مع تلك الأيدلوجية والتي تفصل الدين عن الدولة، وان ظهرت بعض المواقف المؤيدة للقضية الفلسطينية فانها كانت مسألة تعاطف مع قضية لاجئين ومن وجهة نظر إنسانية لا قضية حق تاريخي مغتصب لشعب عريق هو الشعب الفلسطيني.

(*) قسم التاريخ - كلية الآداب / جامعة الموصل.

مع بروز تيار جديد على الساحة السياسية التركية ونعني به التيار الديني/السياسي منذ الخمسينات من القرن الماضي، بدأت القضية الفلسطينية تأخذ بعداً آخر في وجدان الشعب التركي المسلم.

شكل عام ١٩٦٧ علامة فارقة في التفات الجماهير التركية إلى قضية فلسطين، فأثناء وبعد العدوان الصهيوني على الوطن العربي في ٥ حزيران ١٩٦٧، خرجت التظاهرات في الشوارع التركية مؤيدة للقضية الفلسطينية ورافضة العدوان الصهيوني واغتصاب المزيد من الأراضي العربية ومنها القدس الشريف، كما جسد حريق المسجد الأقصى عام ١٩٦٩ تعاطف الشعب التركي مع العرب والمسلمين وخرجت التظاهرات مرة أخرى منددة بالكيان الصهيوني، الأمر الذي اضطر المندوب التركي في الأمم المتحدة إلى القول بان حادثة الحرق المتعمد للمسجد الأقصى بأنها "حادثة شنيعة ملأت شعب تركيا بالحزن العميق"[١].

بعد عام من حريق المسجد الأقصى، تنادي بعض أنصار التيار الديني غير المؤطر في تنظيم حزبي، إلى تأسيس حزب يعبر عن وجهة نظرهم في مختلف القضايا، فكان ان تأسس "حزب النظام الوطني" في كانون الثاني عام ١٩٧٠ برئاسة يونس عارف أمره، وقد حضي الحزب الجديد بدعم وإسناد صغار الحرفيين والمتدينين[٢]. ومما جاء في بيان التأسيس "أما اليوم ... فان امتنا العظيمة التي هي امتداد لأولئك الفاتحين الذين قهروا الجيوش الصليبية قبل ألف سنة، والذين فتحوا استانبول قبل ٥٠٠ سنة، أولئك الذين قرعوا أبواب فيَّنا قبل

(١) احمد ساجر جاسم الدليمي، العلاقات التركية الإسرائيلية ١٩٤٨-١٩٨٠، رسالة ماجستير (بغداد: معهد الدراسات الآسيوية والأفريقية (الملغي)، ١٩٨٨)، ص ١٣٥.

٤٠٠ سنة، وخاضوا حرب الاستقلال قبل خمسين سنة. هذه الأمة العريقة تحاول اليوم ان تنهض من كبوتها وتجدد عهدها وقوتها مع حزبها الأصيل ـ حزب النظام الوطني ـ كما أكد برنامج الحزب على الهوية الوطنية والدينية لتركيا، والصلة بين الماضي والحاضر وصولاً إلى الغد، والدعوة إلى إعادة النظر في نظام التعليم وإضفاء المسحة الدينية عليه، وضرورة السماح بطبع الكتب الدينية ونشرها وتوزيعها على المدارس والمعاهد الإسلامية ومدارس تعليم القران الكريم، كما ركز الحزب على معاداة الحركة الماسونية والصهيونية(٣).

بدا الحزب بالعمل على استقطاب المؤيدين والأنصار على حساب الأحزاب والتيارات السياسية الأخرى، مما جعله يشكل تهديداً لها وبخاصة حزب العدالة الذي كان يقوده السياسي المخضرم سليمان دميرئل(*) الذي يعتبر نفسه وحزبه المعبر الحقيقي عن اليمين التركي، لذا فقد شرع حزب العدالة بالتحريض ضد الحزب الجديد، وكانت مواقف الأخير المناهضة للعلمانية والكمالية قد أثارت

---

(٢) احمد نوري النعيمي، الحركات الإسلامية الحديثة في تركيا، (الأردن: دار البشير، ١٩٩٢)، ص١٢٦.

(٣) النعيمي، المصدر السابق، ص١٢٦-١٢٧.

(*) يُتهم سليمان ديمرئل بالماسونية، حيث أشرك في وزاراته العديدة بعض الماسونيين الأتراك منهم: إبراهيم درين آر، صلاح الدين قيلج، وداد علي اوزقان، مسعود أزر، نهاد كورشاد، احمد تورك آل، عصمت سزكين، مظفر جاغلار (مدير شرطة استانبول)، لمزيد من التفاصيل، انظر: احمد نوري النعيمي، ظاهرة التعدد الحربي في تركيا ١٩٤٥ ـ ١٩٩٠، (بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٩٠)، ص١٨٧؛ محمد حرب عبد الحميد، "المعالم الرئيسة للأسس التاريخية والفكرية لحزب السلامة في تركيا"، ندوة اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر، (الرياض: مطبعة مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٩٨٧)، ص٤٤٤-٤٤٥. وللاستزادة عن نشاط الماسونية ومحافلها ومنتسبيها الأتراك انظر:

Izzet Nuri Gun,yalcin celiker, Masonlur ve masonlar, isimler, belgeler, (Istanbul: 1968).

حساسية الجيش التركي الذي يعتبر نفسه الحارس الأمين للعلمانية والمبادئ الاتاتوركية فكان ان قاد انقلاباً جديداً في شهر آذار من عام ١٩٧١(*)، ومن ثم بدا حكم عسكري جديد، وصدرت الأوامر بحل الأحزاب – وبضمنها حزب النظام الوطني – في ٢١ مايس ١٩٧١ بقرار من المحكمة الدستورية، وكانت التهمة الموجهة للحزب هي نشاطاته الدينية ومناهضته للعلمانية والكمالية(٤).

رافق حل الأحزاب وقيام السلطة العسكرية بتسلم الحكم، جو من العنف والتوتر السياسي الداخلي من جراء الأحكام العرفية، إلا ان عودة الهدوء ترافق مع السماح بعودة الأحزاب تحت مسميات أخرى، فكان ان قام نجم الدين اربكان(**) بتأسيس حزب جديد – قديم تحت اسم حزب الخلاص الوطني (حزب السلامة الوطنية) في ١١ تشرين الأول عام ١٩٧٢.

استطاع حزب الخلاص الوطني خلال مدة قصيرة لا تتجاوز الثمانية اشهر من تنظيم قواعده في (٦٧) محافظة، وعزا اربكان نجاح حزبه خلال

(*) كان الانقلاب الاول ضد حكومة الحزب الديمقراطي عام ١٩٦٠.

(٤) النعيمي، الحركات الإسلامية، ص١٢٦-١٢٧.

(**) نجم الدين اربكان: سياسي تركي، ولد عام ١٩٢٦ في سينوب، تزعم حزب الخلاص الوطني وخاض الانتخابات عدة مرات، واصبح نائباً لرئيس الوزراء ثم رئيساً للوزراء، تعرض للاعتقال والسجن عدة مرات كما حلت أحزابه المتعددة التي كان يشكلها، كما منع من العمل السياسي لعدة سنوات. للتفاصيل انظر: مجلس قيادة الثورة، تركيا، الملف الشامل، (بغداد: مركز البحوث والمعلومات، د.ت) ص١٧٢-١٧٣.

هذه المدة القصيرة إلى تعاطف الرأي العام التركي مع مفاهيم وأفكار الحزب[٥].

كانت العلاقات العامة جزءاً أساسيا من آليات عمل حزب الخلاص الوطني وجزء منها مد يد الصداقة والتعاون مع الدول العربية والإسلامية، وكان الحزب يرى ان التاريخ العربي التركي (العثماني) المشترك له ماله وعليه ما عليه وما على الحزب إلا ان يقيم جسور التعاون مع العرب مرة أخرى، وفي هذا يعبر الحزب عن موقف قطاع مهم من الرأي العام التركي[٦]. وانسجاماً مع ذلك فقد كان الحزب وزعيمه نجم الدين اربكان يدعو إلى تطوير هذه العلاقة في كافة المجالات بصورة فعلية حيث "ان في العالم ما يقرب من خمسين دولة إسلامية يبلغ سكانها مليارا، وهذه الدول الإسلامية سوق طبيعية قوية لإنتاجنا".

كان حزب الخلاص الوطني وزعيمه وقيادته يرون ان الماسونية والصهيونية هي أساس خراب العالم وتمزيق شمل المسلمين وعلى هذا الأساس فقد انتقد اربكان كل من الصهيونية والماسونية حيث يقول "ان الصهيونية والماسونية حاولا عزل تركيا عن العالم الإسلامي، ومؤامراتهم مستمرة، ذلك المعركة بين الإسلام في تركيا

(٥) النعيمي، الحركات الإسلامية، ص١٢٩ـ١٣٠.

(٦) محمد حرب، "اليات الحركة الإسلامية في تركيا" مجلة السياسة الدولية، العدد (١٣١)، ١٩٩٨، ص١٣٢ـ ١٣٣؛ الدليمي، المصدر السابق، ص١٣٦.

والصهيونية قد اتخذت أشكالا عدة وهي حرب طويلة المدى ومستمرة منذ خمسة قرون..."[٧].

وقفت تركيا موقفاً وديا من العرب خلال حرب تشرين الأول ١٩٧٣، وعمدت إلى تخفيف علاقاتها مع الكيان الصهيوني تدريجيا، وأخذت الأحزاب والتيارات الإسلامية واليسارية تطالب الحكومة باتخاذ مواقف اكثر تقدما من القضية الفلسطينية، وفيما يخص حزب الخلاص فانه طالب بقطع العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية كافة مع الكيان الصهيوني وطالب بدعم نضال الشعب الفلسطيني في كفاحه العادل من اجل استرداد حقوقة القومية وممارسة سيادته على أرضه الفلسطينية[٨]. ومنذ عام ١٩٧٥ كان اربكان ومن موقعه كنائب لرئيس الوزراء يلح على رئيس الوزراء سليمان دميرئل بضرورة قطع علاقات تركيا مع الكيان الصهيوني وتوثيق العلاقات التركية العربية أسوة بالدول الأفريقية الإسلامية وغير الإسلامية على الأقل، إلا ان دميرئل كان يرفض قطع العلاقات مع "إسرائيل" ويدعو إلى تطويرها مع العرب[٩]. مما أدى إلى حدوث خلاف بين بعض أنصار التيار الديني، حيث ان حزب الخلاص الوطني كان يرفض ويُدين تأييد المسلمين الأتراك لحزب العدالة لأنه يعتبره حزبا مسانداً للصهيونية العالمية

---

(7)Alan makovsky, "How to deal with Erbakan", the middle East Quarterly, March, 1997, p2; علي محمد الصلابي، الدولة العثمانية، عوامل النهوض واسباب السقوط، ط١ (الأردن: دار البيارق، ١٩٩٩)، ص٧٦٢-٧٦٣؛ النعيمي، الحركات الإسلامية، ص١٤١.

(٨) محمود علي الداؤد، "العلاقات العربية التركية والعوامل المؤثرة فيها"، مجلة المستقبل العربي، العدد، ١٩٨٢، ص٦٨.

(٩) إبراهيم الداقوقي، فلسطين والصهيونية في وسائل الأعلام التركية، (بغداد، ١٩٨٧)، ص٤٧.

ويرى ان الفكر الماسوني قد تغلغل بين أنصار وأعضاء حزب العدالة وان المسلم الذي يؤيد حزبا يساعد الصهيونية يكون قد خرج عن الوعي الإسلامي[١٠]. بينما استمرت جماعة النور[*] في تأييد حزب العدالة، وبسبب من أوضاع تركيا الداخلية والخارجية، وإلحاح الشارع التركي، سعت حكومة ديمرئل في نفس العام إلى التقرب اكثر من أقطار الوطن العربي ومنظمة التحرير الفلسطينية، حيث سمحت للمنظمة بفتح مكتب في أنقرة[١١].

في محاولة من اربكان لكسب المزيد من التأييد لاراءه ومبادئه، فقد عمد إلى توظيف (الهوية التركية) وما تعانيه من قلق ناشئ من النزاع الذي تم حله حول مكانة الماضي العثماني والاسلام في شخصية الأمة الثقافية والتاريخية، وربط الحاضر بالماضي وما تعرضت له الدولة العثمانية على يد الغرب ودور اليهود في إنهاك الدولة العثمانية من خلال المؤامرات المستمرة والتي لم تنقطع حتى بعد زوال الدولة العثمانية، وما بين ما تتعرض له تركيا المعاصرة من مخططات تخريبية تقسيمية ومخاطر

---

(١٠) عبد الحميد، المصدر السابق، ص٤٣٧؛ makovsky, op.cit, p. 7-8 .

(*) جماعة النور: تنتسب جماعة النور إلى بديع الزمان سعيد النورسي وهو عالم ومفكر إسلامي له مجموعة مؤلفات تسمى رسائل النور بلغ عددها مئة وثلاثون رسالة، اطلق على مؤيديه تسمية (جماعة النور، النورجية، النورسية) للتفاصيل انظر: محمد نور الدين، قبعة وعمامة، مدخل إلى الحركات الإسلامية في تركيا، (بيروت: دار النهار للنشر، ١٩٩٨)، ص٤٣-٤٤؛ اشرف محمود سنجر، "الطرق الصوفية التركية وتفاعلات السياسية"، مجلة السياسة الدولية، العدد (١٣١)، ١٩٩٨، ص١٦٠.

(١١) فيليب روبنس، تركيا والشرق الأوسط، ترجمة: ميخائيل نجم خوري، (د.م: دار قرطبة للنشر والتوثيق والأبحاث، ١٩٩٣)، ص٩٩.

التوسع الصهيوني في المنطقة، فقد عمد إلى استخدام المنبر البرلماني لشرح تلك المخاطر، حيث حذر رئيس الكتلة البرلمانية لحزب الخلاص الوطني أثناء مناقشة ميزانية وزارة الدفاع في المجلس الوطني الكبير بتاريخ ٢٣ شباط ١٩٧٩ قائلاً "ان الكيان الصهيوني الذي قام على خرافة الوطن الموعود، يشكل خطراً على أمن وسلامة أقطار المنطقة، ذلك لان الخرائط الخاصة بهذه الإمبراطورية المزعومة تشمل مناطق عديدة من تركيا، من ضمنها جبال طوروس ومناطق أخرى..."(١٢).

رداً على استقبال الحكومة التركية للوفود الصهيونية، جرى استقبال شعبي حاشد – بالإضافة إلى الاستقبال الرسمي – لرئيس منظمة التحرير الفلسطينية ياسر عرفات الذي وصل إلى أنقرة لافتتاح مقر المنظمة في شهر تشرين الأول من عام ١٩٧٩(١٣).

في أواخر شهر آب ١٩٧٩ وصل أنقرة وفد سري إسرائيلي رفيع المستوى برئاسة (آرييه لافين) يرافقه اثنان من مسؤولي وزارتي الخارجية والدفاع الإسرائيليتين ورافقهم في جولتهم الملحق العسكري الإسرائيلي في أنقرة (اسحق كاهانا) وتسربت أنباء الزيارة إلى الشارع التركي، إلا ان وزارة الخارجية التركية أنكرت أمر هذه الزيارة رسمياً، لكن وسائل الإعلام والأحزاب التركية المعارضة كشفتها حيث تحدثت تفصيلياً عن اتصالات الوفد الإسرائيلي وكشفت مقر إقامته في فندق (ديدمان)، كما دعت

(١٢) الداقوقي، المصدر السابق، ص١٩١؛ النعيمي، الحركات الإسلامية، ص١٥١.

(١٣) نور الدين، المصدر السابق، ص٧٩.

هذه الأحزاب إلى عقد جلسة طارئة للمجلس الوطني التركي الكبير لمناقشة سياسة وزير الخارجية – عن حزب العدالة – (خير الدين اركمان) إزاء "إسرائيل" وبالفعل عقدت هذه الجلسة في ٥ أيلول ١٩٨٠، وتحدث فيها ممثلو المعارضة في البرلمان وانضم إليهم بلند آجويد ونجم الدين اربكان، ولعب الأخيران دوراً فاعلاً في سحب الثقة من وزير الخارجية بعد ان تم التصويت على الثقة في نفس الجلسة ومن ثم إقالة الوزير آركمان من منصب وزير الخارجية(١٤).

مارس حزب الخلاص الوطني وسائل ضغط أخرى من اجل القضية الفلسطينية، كان منها تجييش الشعب عبر المظاهرات في المناسبات، فعندما أعلنت "إسرائيل" ضمها للقدس عام ١٩٨٠، قاد الحزب مظاهرة جماهيرية في مدينة قونية في ٦ أيلول من العام نفسه طافت الشوارع منددة بالقرار الصهيوني وقدرت بـ (٢٥٠) ألف شخص، ودعا نجم الدين اربكان في اجتماع حضره ممثلو المنظمات الفلسطينية وعدد كبير من أعضاء السلك الدبلوماسي العربي والإسلامي في تركيا وعدد من النواب الأتراك جميع مسلمي العالم للجهاد في سبيل إنقاذ القدس وعودة المسجد الأقصى إلى المسلمين، مؤكداً استعداد الجماهير التركية للانخراط في صفوف المتطوعين لتحرير فلسطين(١٥).

---

(١٤) إبراهيم خليل الناصري، التطورات المعاصرة في العلاقات العربية التركية، (بغداد: مطبعة الراية، ١٩٩٠)، ص٢٠٥-٢٠٦؛ النعيمي، الحركات الإسلامية، ص١٤٩.

(١٥) رضا هلال، السيف والهلال، تركيا من اتاتورك إلى اربكان، (القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٩)ص١٥٠-١٥١؛ الف باء (مجلة)، العدد(٦٢٤)، ٩ أيلول ١٩٨٠، ص٩؛ الثورة (جريدة)، العدد(٣٧٥٦)، ٨ أيلول ١٩٨٠.

كما وظهرت مجموعات من شباب الحزب المسلحين وهم يرتدون الزي الإسلامي ويلوحون بأعلام خضراء كتبت بالعربية، ويحملون لافتات تبرز مكانة القرآن والإسلام(١٦)، فضلا عن شعارات مثل "تحرير القدس واجب على كل مسلم" و "لنقطع فورا العلاقات مع إسرائيل" و "لن يعفوا الشعب عن الذين يستنكرون ضم القدس شكلا لا فعلا"، كما قاموا بحرق الإعلام (الصهيوني والأمريكي والسوفيتي)، وبعد انتهاء المظاهرة التي استمرت ثلاث ساعات ألقى اربكان كلمة موجزة قال فيها "ان إسرائيل وعملاؤها المحليين يقومون ببث الفتنة وإثارة الفوضى في تركيا ..." وأضاف "ان الجهاد والشهادة في سبيل فلسطين هما أرقى ما يطمح له المسلم وعلينا ان نعمل من اجل تطهير أرضنا من الصهاينة وعملاؤهم"، ودعا الحكومة التركية إلى قطع العلاقات مع الكيان الصهيوني وموضحا ان السياسة الإسرائيلية الاستيطانية تهدف إلى تعزيز الاحتلال الصهيوني للأراضي العربي(١٧).

أشارت الصحف التركية إلى ان هذه المظاهرة هي أول مظاهرة تؤيد الحق الفلسطيني تخرج في تركيا بهذا الحجم الكبير، ورغم ذلك ورغم التظاهرات فقد كان رد الفعل الرسمي لحكومة دميرئل على القرار الصهيوني ضعيفا تابعا من المصالح الحزبية ومصالح تركيا الخارجية، حيث صدرت أوامر دميرئل بتحديد العلاقة مع الكيان الصهيوني وعدم قطعها، مما حدا بأربكان إلى التصريح بأنه قد

(١٦) هلال، المصدر السابق، ص١٥١؛ النعيمي، الحركات الإسلامية، ص١٥١.

(١٧) الدليمي، المصدر السابق، ص١٣٤؛ الصلابي، المصدر السابق، ص٧٦٥-٧٦٦؛ ألف باء، المصدر السابق، ص٩.

أعطيت للحكومة مهلة حتى الثلاثين من آب للبث في موضوع الموقف التركي الرسمي من عملية ضم القدس(١٨).

كانت هذه المظاهرة وما انطوت عليه من دلالات – فضلاً عن عوامل عديدة أخرى – من أهم عوامل تسريع الانقلاب العسكري الثالث في ١٢ أيلول ١٩٨٠ والذي قاده الجنرال كنعان ايفرين والذي وصف المظاهرات وتداعياتها بأنها كانت قمة "استعراض القوة من قبل الرجعية"(١٩).

أقلقت هذه الأحداث "إسرائيل" كثيراً، لذا فقد أيدت الانقلاب حيث أكدت صحيفة الجيروزالم بوست الإسرائيلية ان "مواجهة التيار الإسلامي المتنامي في تركيا في مصلحة إسرائيل، وان الانقلاب سيساعد على تمتين العلاقات بين البلدين"(٢٠).

بعد الانقلاب مباشرة تمت محاكمة اربكان وأركان حزبه، وكانت محاكمة لنهج حزب الخلاص الوطني ومعاداته لإسرائيل والماسونية والصهيونية، فضلا عن انتقاداته للنهج الاتاتوركي، حيث جاء في مضبطة الاتهام ان الإسلاميين يتهمون الماسونية بإسقاط السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦-١٩٠٩) واتهامهم لمصطفى كمال اتاتورك بالماسونية، فضلا عن اتهامهم لجمعية الاتحاد والترقي وانقلابها عام ١٩٠٨ بأنه من تدبير الماسونية وعن الجمعية نفسها بأنها ماسونية، ورداً على ذلك فقد عقد بعض زعماء حزب الخلاص المتواجدين على الأراضي

(١٨) الناصري، المصدر السابق، ص٢١٠-٢١١.

(١٩) هلال، المصدر السابق، ص١٩-٢٠، ١٥١؛ النعيمي، الحركات الإسلامية، ص١٥٠؛ الناصري، المصدر السابق، ص٢١٢.

(٢٠) الناصري، المصدر السابق، ص٢١٢؛ النعيمي، المصدر السابق، ص١٥٠.

الألمانية (ألمانيا الغربية سابقا) اجتماعات عدة هاجموا خلالها الانقلاب والعسكر وكرروا انتقاداتهم لاتاتورك "الذي قام بتسليم تركيا للهيمنة الصهيونية..."[٢١].

بغية تحسين صورة الانقلاب العسكري لدى الشعب التركي المسلم وكسب ود الدول العربية عمل العسكر على تقوية علاقات تركيا مع الدول العربية والإسلامية، وشارك رئيس الجمهورية التركية كنعان ايفرين في المؤتمر الإسلامي الذي انعقد في جده في مطلع الثمانينات، ودعا إلى تقوية العلاقات العربية التركية، ومن جانب آخر عمد إلى تخفيف العلاقات مع الكيان الصهيوني، مما أثار غضب الصهاينة، حيث صرح رئيس الوزراء الإسرائيلي الإرهابي مناحيم بيغن في شباط ١٩٨٢ في معرض تعليقه على تردي العلاقات مع تركيا بقوله: "التركي كالأفعى، لا تأمن جانبه إلا إذا قتلته"، وتبعه الإرهابي إريل شارون بتصريح آخر عام ١٩٨٣ قال فيه: "ان الذراع الإسرائيلية قادرة على الضرب من إسرائيل إلى أديس أبابا" وفي عام ١٩٨٤ صرح الإرهابي اسحق شامير: "ان تركيا تقع ضمن محيط الاستراتيجية العسكرية وفي إطار الدائرة الأمنية الإسرائيلية". إلا أن هذا العداء اللفظي لم يستمر طويلا حيث تغير الحال منذ عام ١٩٨٥ نتيجة الضغط الأمريكي على تركيا من اجل تغيير سياستها تجاه الكيان الصهيوني والعودة إلى سياستها السابقة وتحسن العلاقات بين الطرفين[٢٢].

استمر ضغط حزب الرفاه الإسلامي[*] "في سبيل نصرة القضية الفلسطينية وديمومتها في ذهنية الشارع التركي، حيث جرت مظاهرة حاشدة في مدينة قونيا

(٢١) النعيمي، المصدر السابق، ص١٥١-١٥٤.

(٢٢) الناصري، المصدر السابق، ص٢٠٧.

(*) بعد حل حزب الخلاص الوطني اثر انقلاب ١٩٨٠، ومن ثم السماح بعودة الحياة الحزبية عام ١٩٨٣، تم إعادة تأسيس حزب الخلاص الوطني تحت اسم (حزب الرفاه الإسلامي).

في الشهر الثامن من عام ١٩٨٧ منددة بالوجود الصهيوني في فلسطين كما تم ترديد قسم يدعو للجهاد في سبيل الله وتحرير فلسطين كل فلسطين[٢٣]". وفي الشهر التاسع من العام نفسه حدثت أزمة دبلوماسية حادة بين تركيا والكيان الصهيوني اثر قيام رئيس بلدية أنقرة محمد الطينوس (عن حزب الرفاه) بإطلاق اسمي فلسطين والقدس على شارعين في مدينة أنقرة وبسبب ما أعرب عنه من تمنيات بان يمكّن الله المسلمين من السير معا إلى القدس للصلاة فيها. وقد أثار هذا العمل وهذه التمنيات غضب حكومة الكيان الصهيوني والتي قدمت مذكرة احتجاج بهذا الصدد إلى تركيا[٢٤].

لم يترك حزب الرفاه مناسبة إلا واستغلها لتعرية الكيان الصهيوني والتنديد به، وبسبب استمرار الممارسات القمعية الصهيونية وانتهاكاتها المستمرة لحقوق الشعب الفلسطيني، فقد نظم حزب الرفاه عام ١٩٨٨ مسيرة في مدينة قونيا، وتحدث فيها اربكان أمام حشد كبير من الأتراك قائلا: "أن إسرائيل أسوأ من هتلر، لانها تقتل وتبيد المسلمين. ورغم استمرار إسرائيل في هذا العمل، فان أمريكا تواصل تزويدها بالأسلحة، فهل يوجد إرهاب اكثر من هذا" وكان المتظاهرون يحملون لافتات تندد "بإسرائيل" وقاموا بإحراق الإعلام الصهيونية[٢٥].وفي نفس العام إنطلقت مظاهرة أخرى قادها الحزب في مدينة دياربكر تندد بكل الاتفاقيات والعلاقات التركية مع "إسرائيل" وتطالب بتحرير القدس الشريف، وكانت هتافات الجماهير: "يجب تحرير القدس" و "الفلسطينيون أشقاؤنا" و "الدفاع عن القدس حقنا" و " نبارك جهاد إخواننا الفلسطينيون" وقد انطلقت المظاهرة من شارع

---

(23)Gun aydin, 13-3-1987.

(٢٤) السياسة (جريدة)، العدد(٦٨٥١)، س٢٠، ١٩٨٧/٩/٤.

المحطة وعند وصولها إلى ساحة الجمهورية ألقى النائب السابق يعقوب خطاب أغلو كلمة شجب فيها "إسرائيل" ومناديا بتحرير القدس[٢٦]. وفي ١٥ شباط من عام ١٩٩٠ اعد حزب الرفاه تجمهرا في مدينة طرابزون، لعنوا فيه المظالم المطبقة ضد المسلمين في العالم[٢٧].

سعى حزب الرفاه لتصعيد خطه السياسي وإطلاق الوعود والدعايات، ففي الحملة الانتخابية لعام ١٩٩٥، صرح زعيم الحزب اربكان بضرورة خروج القوات الغربية الأمريكية المتمركزة في تركيا وضرورة رفع الحصار المفروض على العراق وانسحاب تركيا من حلف شمال الأطلسي واستبداله بمنطقة دفاعية إسلامية وتطوير العلاقات بين تركيا والعراق وسوريا والعالم الإسلامي عموما ومعاداة "إسرائيل" والإشادة بـ (حركة المقاومة الإسلامية – حماس) وعملياتها العسكرية[٢٨]. كما أعلن انه سيصل إلى السلطة قريبا، وقال: "أن تأييد أي حزب آخر بمثابة تأييد لليهود الذين قصفوا إخواننا المسلمين" كما هاجم الحكومة الائتلافية لاتفاقها العسكري[*] في شباط مع إسرائيل الذي اغضب الوطن العربي

---

(25) Gunaydin, No. 1611, 1988.

(26) Tercuman, sayi 9758, 12. mart. 1988.

(٢٧) سفارة الجمهورية العراقية، الدائرة الصحيفة، الرقم ص/ ١٥/٣٣٠/ ١٩٩٠، أفقرة. أرشيف مركز الدراسات الإقليمية/ جامعة الموصل.

(٢٨) دهام محمود علي الجبوري، كريم محمد حمزة، القوى الفاعلة في المجتمع التركي (بغداد: بيت الحكمة، ٢٠٠٢) ص٤٧-٤٨؛ روبنس، المصدر السابق، ص١٠٦؛ نور الدين، المصدر السابق، ص٨٠.

(*) للتفاصيل حول الاتفاق العسكري التركي ـ الاسرائيلي، انظر: جلال عبد الله معوض، صناعة القرار في تركيا والعلاقات العربية ـ التركية، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٨)، ص٢٢١-٢٤٢؛ هلال، المصدر السابق، ص١٦٦؛ إبراهيم خليل العلاف، "العلاقات التركية مع الكيان الصهيوني منذ أوائل الثمانينات وحتى الان"، مجلة آفاق عربية، العدد (٣-٤)، س٤، آذار- نيسان ١٩٩٩، ص٤٦.

وقال: ألم يقصف اليهود إخواننا المسلمين في لبنان ثم يذهب هؤلاء ويبرمون تحالفا مع اليهود ويفتحون سماء تركيا أمام طائراتهم وفي ظل هذه الحقائق فان أدليتم بصوتكم لصالح أي شخص خارج حزب الرفاه فانكم تمنحون صوتكم لليهود، وسيلعن الشهداء والقديسون من يفعل ذلك"[٢٩]. كما أكد عبد الله غول نائب زعيم حزب الرفاه المكلف بالشؤون الخارجية في مقابلة مع صحيفة الحياة أن الحزب سيلغي الاتفاق العسكري التركي – الإسرائيلي في حال وصوله إلى السلطة وان الولايات المتحدة الأمريكية لن تتمكن من الضغط عليه في هذا الشان وأضاف: "لن نقبل بأي اتفاق مع إسرائيل ولو كان مماثلاً لاتفاقات مع دول أخرى"، وأشار إلى أن حزبه يقيم علاقات خاصة مع بعض الأحزاب العربية الإسلامية وبعض الدول العربية[٣٠].

وتشير بعض المصادر إلى أن بنود الاتفاق العسكري التركي – الإسرائيلي بقيت سرا لا يعلم به سوى بعض قادة الجيش ومجلس الأمن القومي التركي والكيان الصهيوني فقط[٣١]. وكان الاتفاق قد ابرم في شهر شباط من عام ١٩٩٦ في عهد رئيسة الوزراء تانسو شيلر، بينما تسلم حزب الرفاه ورئيسه نجم الدين اربكان السلطة في حزيران ١٩٩٦.

---

(٢٩) نور الدين، المصدر السابق، ص٨٢؛ بابل (جريدة)، العدد (١٥٣٣)، ٢٣ أيار ١٩٩٦؛ makovsky, op. cit, p. 7-8

(30)Sabri sayari, "Turkey's Islamist challenge", the middle East Quarterley, september, 1996, p. 8; بابل (جريدة)، العدد (١٥٤٣)، س٦، ٤ حزيران ١٩٩٦.

(31)Akit, 22-10-2000; Alain Gresh, "Turkish – Israeli – syrian relations and their Imapact on the midlle East", midlle East Jornal, vol. 52. No. 2. spring 1995:
هلال، المصدر السابق، ص١٨٠-١٨٢.

أن هذه التصريحات ومؤشرات الانتخابات التي رجحت كفة حزب الرفاه للفوز فيها أثارت الرعب ودقت ناقوس الخطر لدى أطراف عديدة في مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية والكيان الصهيوني، وقد ذكرت صحيفة (هآرتس) الصهيونية نقلاً عن السفير الصهيوني في أنقرة قوله: "أن إسرائيل تشعر بالقلق إزاء إمكانية أن تسبب نتائج الانتخابات التركية في إلحاق أضرار بعلاقات البلدين لان الأطراف المعنية بصنع القرار في تركيا ستكون مضطرة إلى أن تضع في الحسبان التطورات على الساحة السياسية"(٣٢).

بعد فوز حزب الرفاه بالانتخابات حاول اربكان أن يشكل حكومة ائتلافية لكن ضغوط العسكر واللوبي الصهيوني حالا دون ذلك لفترة قصيرة من الزمن، حيث عاد الحزب مرة أخرى ليشكل حكومة ائتلافية في ١٩٩٦/٦/٢٨ مع شريك علماني هو حزب الطريق القويم بزعامة تانسو شيلر، واثار تولي الرفاه السلطة قلقاً شديداً لدى الدوائر الصهيونية حيث صرح ناطق بأسم حكومة رئيس الوزراء الصهيوني بنيامين نتنياهو بان حكومته "قلقة من التطورات السياسية الأخيرة في تركيا والتي أفضت إلى تولي حكومة ائتلافية جديدة بزعامة نجم الدين اربكان زعيم حزب الرفاه لزمام الحكم في أنقرة"، ونسب إلى مصادر إسرائيلية رفيعة المستوى في حكومة نتنياهو انها قلقة بشان اتفاق التعاون العسكري مع تركيا في عهد الحكومة التركية السابقة وحكومة مسعود يلماز في شباط الماضي، وأشارت في تعبير واضح عن هذا الشعور بالقلق إلى أن "رئيس الوزراء التركي الجديد اربكان سيبذل بلا شك قصارى جهده في سبيل إفراغ اتفاق التعاون العسكري بين البلدين من مضمونه، كما انه سيسعى إلى إلغاء صفقة لتحديث طائرات حربية تركية من طراز

(٣٢) معوض، المصدر السابق، ص٥٨-٥٩.

فانتوم بناء على تعاقد بين الصناعة العسكرية الجوية الإسرائيلية والحكومة التركية في وقت سابق مقابل تقاضى "إسرائيل" مبلغا قدره (٦٠٠) مليون دولار". إلا أن أوساطاً إسرائيلية أخرى قالت أن "إسرائيل" ستعتمد على شريكة الإئتلاف الحكومي تانسو شيلر التي بادرت حكومتها السابقة إلى عقد الاتفاق مع "إسرائيل". كما قال "ألون ليسال" أحد كبار الموظفين السابقين في وزارة الخارجية الإسرائيلية والخبير في الشؤون التركية لصحيفة "معاريف" الصهيونية في ٦/٣٠" أن اربكان انتهج طوال سنوات نشاطه السياسي في تركيا خطا متشدداً مناوئا لإسرائيل"، بينما رجح السفير الإسرائيلي في أنقرة عدم حدوث تغييرات في العلاقات بين البلدين لوجود المصالح المشتركة[٣٣].

حاول اربكان التهرب من التوقيع على الاتفاقية العسكرية مع الكيان الصهيوني والتي كان يرى فيها تهديداً للأمن القومي التركي، حيث سبق له أن صرح بأنه سيعيد النظر في كافة الاتفاقات التي تتعارض مع الأمن القومي، فكان أن ردت "إسرائيل" بتأجيل زيارة (ديفيد ايفري) مستشار "وزارة الدفاع الإسرائيلية" ومسؤول التسليح فيها إلى أنقرة، وقام اربكان بتأجيل التوقيع مرة ثانية بحجة الرحلة التي سيقوم بها إلى الشرق وبدئها بطهران وانهاها بجاكارتا الاندنوسية، فكان التأجيل الثاني لزيارة ايفري إلى أنقرة[٣٤]. ورغم محاولات اربكان السابقة إلا انه ما لبث أن وقع على اتفاقية ثانية للتصنيع العسكري في

(٣٣) قضايا دولية (مجلة)، العدد (٣٤١)، س٧، ١٥ يوليو ١٩٩٦، ص٦.

(٣٤) "تحت ضغط تشيلر والجيش، اتفاقية عسكرية ثانية مع اسرائيل"، مجلة قضايا دولية، العدد (٣٤٩)، س٧، ٩ سبتمبر ١٩٩٦، ص٧؛ نور الدين، المصدر السابق، ص١٠٠.

١٩٩٦/٨/٢٨[٣٥]. ثم اتفاقية ثالثة في ١٢/٥ من العام نفسه، تناولت فضلا عن الجانب العسكري الجانب الأمني وإجراء تدريبات مشتركة[٣٦].

يبرر اربكان هذه الاتفاقات بأنها "مجرد صفقة تجارية للحصول على تكنولوجيا لصناعة الطائرات الحربية التركية عن طريق شرائها من الكيان الصهيوني لعدم تزويد الولايات المتحدة تركيا بها"، مؤكدا في الوقت نفسه" أن تركيا بعلاقاتها القوية مع العالم العربي والعالم الإسلامي لا يمكنها المضي مع الكيان الصهيوني في أمور يمكن أن تشكل تحالفا[٣٧]. ويبدو أن اربكان وقع الاتفاقيات مع الكيان الصهيوني لعدة أسباب منها:

١. محاولة تجنب الصدام مع الجيش.
٢. عدم مواجهة الولايات المتحدة الأمريكية الحليف الاستراتيجي للكيان الصهيوني.
٣. محاولة الإبقاء على التحالف مع حزب الطريق القويم وذلك بسبب الضغوط التي كانت تمارسها شريكته في الإئتلاف تانسوشيلر لتوقيع الاتفاق المذكور.

ورغم ذلك فانه كان على اربكان أن لا يخضع لضغط العسكر وأمريكا وشريكته العلمانية وان ينسجم مع المباديء والقناعات التي كان ينادي بها بعدم التعامل مع الكيان الصهيوني، وكان عليه أن يقدم استقالته وعدم التشبث برئاسة الوزارة كي يحافظ على صورته النقية أمام ناخبيه والجماهير التركية المسلمة وأمام الشعوب الإسلامية، ومن جانب آخر أن لا يعطي الجيش التركي والأحزاب

(٣٥) نور الدين، المصدر السابق، ص١٠٠؛ العلاف، المصدر السابق، ص٤٦.

(٣٦) هلال، المصدر السابق، ص١٨١-١٨٢؛ قضايا دولية (مجلة)، العدد (٣٦٣)، س٧، ١٦ ديسمبر ١٩٩٦، ص٩؛ العلاف، المصدر السابق، ص٤٦.

(٣٧) نور الدين، المصدر السابق، ص١٠٠؛ العلاف، المصدر السابق، ص٤٦.

العلمانية الفرصة لتشويه صورته أمام ناخبيه وأنصار حزبه بأنه يقول مالا يفعل وانه كان يستغل مشاعر المسلمين الأتراك للوصول إلى رئاسة الوزارة.

حاول اربكان أن يبدو مرة أخرى بأنه يعارض التعامل مع الكيان الصهيوني، حيث رفض لقاء ديفيد ليفي وزير خارجية الكيان الصهيوني إلا انه عاد والتقى به[٣٨]. كما وحاول اربكان وأركان حزبه استعادة شعبيتهم أمام ناخبيهم وأنصار حزبهم بمعاودة إقامة المهرجانات والاحتفالات التي تتعلق بفلسطين والقدس، ففي ١٩٩٧/٢/٢٣ نظمت بلدية زنجان احتفالاً حاشداً باسم يوم القدس ألقى فيه رئيس البلدية بكر يلدز عن حزب الرفاه خطاباً طالب فيه بإقامة الشريعة وتحرير فلسطين وقد ظللت الاحتفال صور زعماء حماس وحزب الله، وقد رد الجيش التركي بإنزال دباباته في شوارع المدينة في استعراض للقوة ورسالة موجهة إلى من يعنيهم الأمر بان القوات المسلحة لن تسكت عن أية انتهاكات للنظام العلماني في تركيا[٣٩]. وبعد عدة أيام ألقي القبض على رئيس البلدية المذكور وتمت محاكمته رغم اعتراض حزب الرفاه، وما لبثت وزيرة الداخلية مرال آق شز عن – حزب الطريق القويم – أن أصدرت آمراً بإقالته من منصبه في ١٩٩٧/٣/٥[٤٠]. وتضامنا مع رئيس البلدية قام وزير العدل عن حزب الرفاه شوكت قازان بزيارة

---

(٣٨) الجبوري، المصدر السابق، ص٥٣؛ هلال، المصدر السابق، ص١٧٩-١٨٠.

(٣٩) إبراهيم الداقوقي، مستقبل الحكم في تركيا مجلة قضايا دولية العدد (٣٧٥)، س٨، ١٧ مارس ١٩٩٧، ص١٨-١٩.

(٤٠) سعد عبد المجيد، "المواقف من مطالب مجلس الأمن القومي "، مجلة قضايا دولية، العدد (٣٧٥)، س٨، ١٧ مارس ١٩٩٧، ص١٦-١٧؛ الجبوري، المصدر السابق، ص٤٨.

رئيس البلدية طيلة مدة احتجازه[٤١]، تضامنا وإشارة إلى أن الحزب يؤيد مواقف رئيس البلدية وان الحزب لا يتخلى عن أنصاره ومؤيديه.

في محاولة يبدو انها الأخيرة لكسب الشعبية عارض اربكان إجراء المناورات العسكرية التركية مع الكيان الصهيوني وأكد مع نائبه في المجلس الوطني الكبير اوجان أصيل ان موضوع المناورات لم يطرح على طاولة البحث في الحكومة وانه لا حاجة إلى هذه المناورات إطلاقا[٤٢].

رغم كل محاولات اربكان واركان الحزب تجنب الصدام مع الجيش، إلا أن الجيش واصل ضغوطه على الحكومة الائتلافية والاستمرار في إحراج اربكان أمام ناخبيه إلى ان وصل به الأمر تقديم مطالبه الشهيرة[٤٣]، داعيا اربكان إلى الالتزام بها وتنفيذها، ثم ركز ضغوطه على شريكة الإتلاف تانسو شيلر، لهذا لم يصمد الإتلاف طويلا فكان ان قدم اربكان استقالته ثم تبعته شيلر، فسارع رئيس الجمهورية سليمان ديمرئل إلى تكليف مسعود يلماز بتشكيل حكومة جديدة، ثم أعقبها منع اربكان وبعض اركان حزبه من مزاولة العمل السياسي لفترة طويلة ثم حل الحزب الذي عاود العمل تحت اسم حزب السعادة وعانى من خروج عدد كبير من أنصاره لينظموا إلى حزب العدالة والتنمية المتنامي الشعبية والذي عدّ الوريث القوي لحزب الرفاه تحت قيادة شابة جديدة.

(٤١) الداقوقي، "مستقبل الحكم في تركيا"، ص١٩.

(٤٢) العروبة (مجلة)، العدد (١١)، فبراير ١٩٩٨، ص٢٩.

(٤٣) للتفاصيل حول مذكرة الجيش المقدمة لرئيس الوزراء نجم الدين اربكان، انظر: هلال، المصدر السابق، ص١٩٧-١٩٩.